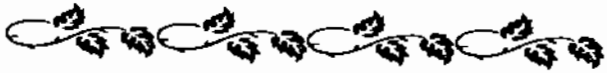

الباب الثالث

مع الله

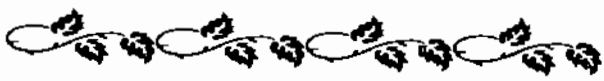

تمهيد

هذا الباب مخصصه لتحقيق أهداف إيمانية، نقترب بها من الله ﷻ، من خلال بعض موائد إيقاظ الإيمان

المائدة الأولى، بعنوان آية نتدبرها، وتناول موضوع **دعوة النجاة** الذي يعرض موقفًا حكاه الكتاب العزيز، إنه موقف مؤمن آل فرعون، ليؤكد أن سبيل الإسلام هو سبيل الرشاد، وأن الحق لابد له من دعاة يعلنونه بصراحة وحزم وشجاعة في كل ميدان

ومن موائد إيقاظ الإيمان، التفكر في الكون، إنه كتاب الله المنظور أو المشهود، وتحت عنوان **ساعة نتفكرها** نجد موضوع **السماء ذات الرجع** ونتأمل من خلاله عظمة الخالق ﷻ في ظاهرة الرجع بأنواعه. رجع الأشعة ورجع البارك، ورجع الماء، ورجع الحرارة، ورجع الصوت، ورجع الضوء، ثم رجع موجات الإذاعات والاتصالات

ومن موائد إيقاظ الإيمان، العبادات الخالصة، والذكر والدعاء من هذه العبادات، وتحت عنوان **أذكار نقرؤها** نجد موضوع **نذكر الله بالأسماء الحسنى**، الذي تعرضنا فيه لهذه الأسماء، وقمنا ببيان مدلولات بعضها، لتكون عونًا على ذكر الله ﷻ.

ومن موائد إيقاظ الإيمان التفكر في نِعَم الله ﷻ علينا، وتعدادها وشكرها، وتحت عنوان **نعمة نحمدها**، نجد موضوع **البيت مأوى ومحراب**، الذي يبين نِعَم الله ﷻ على البيت المسلم، وكيف جعله مأوى ومحرابًا في نفس الوقت، وأوردنا فيه بعضًا من أذكار أحوال اليوم والليلة، التي تُمَكِّن المسلم والمسلمة من جعل حياته بالبيت مُكثًا في محراب عبادة

١- آية نتدبرها:

دعـــــوة للنجـــــــــاة

٢- ساعة نتفكرها:

الســـــماء ذات الرجـــــع

٣- أذكار نقرؤها:

نذكر الله بالأسمـــــاء الحســـنى

٤- نعمة نحمدها:

البيـــت مـــأوى ومحـــــراب

١ – آية نتدبرها:

دعوة للنجاة

قال ﷻ في كتابه العزيز

﴿وقَالَ الذي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا ومَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ . ويَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ . لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا ولا فِي الآخِرَةِ وأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ . فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ . فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[1].

سبيلان:

الناس يسيرون في أحد سبيلين، وهم إلى مصير من اثنين، إما الجنة وإما النار، ولكلٍّ سبيل دُعَاتُه، دعاة إلى النجاة؛ يريدون الجنة لأنفسهم وللناس، ودعاة إلى النار، يلقون بأنفسهم فيها ويجُرُّونَ الناس إليها

الإسلام سبيل الرشاد:

الإسلام سبيل العزيز الغفار، وقديمًا أعرض فرعون عن الإسلام الذي جاء به موسى عليه السلام، بل إنه ادعى أن ما يراه هو سبيل الرشاد، ويحكي القرآن الكريم عن قول فرعون هذا في قوله ﷻ: ﴿. قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى ومَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[2].

---

١ – الآيات من ٣٨–٤٥ من سورة غافر. ٢ – من الآية ٢٩ من سورة الأحزاب

لا بد للحق من دعاة يعلنونه.

وفي صراحة لا تخلو من التحدي، كشف مؤمن قوم فرعون عن السبيل الحقيقي للرشاد، يقول الله ﷻ عن ذلك في كتابه العزيز ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، إنه سبيل الرشاد الحقيقي الذي يكتشف سبيل الرشاد المزعوم الذي ادعاه الطاغية

حزم وحسم عند الإعلان:

عندما يكون هناك إعلان، فإنه يكون إعلانًا يتصف بالحزم والحسم، فهو إعلان بلا تردد ولا تلعثم، ويبين القرآن الكريم هذا على لسان مؤمن قوم فرعون في قوله ﷻ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾

اعتصام بالله عند التحدي:

وعندما يكون هناك تحدٍّ، فلابد أن يقترن ذلك بتفويض الأمر لله، لهذا يضيف صاحب كلمة الحق كما حكى القرآن الكريم. ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

كلمة الحق تقي صاحبها وتحفظ ذريته:

وهذا الإعلان سُجِّلَتْ لمؤمن قوم فرعون كلمة الحق الخالدة، وهي دائمًا تُسَجَّل لصاحبها في كل زمان ومكان، وحصل على أجرها وعائدها، فهي دائمًا وقاية لصاحبها، ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾، وهي أيضًا تأمين لذرية قائلها ورعيته، ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1]

١- الآية ٩ من سورة النساء

إن الشجاعة في الحق وإعلانه نوع من هذا القول السديد، وعلى خلاف ما يظن كثير من الناس أن إعلان كلمة الحق بشجاعة قد تجر على قائلها البلاء، أو أنها سبب من أسباب ضياع من يعول من ذرية ضعاف، ولكن العقيدة السليمة تُطَمْئِنُ صاحب كلمة الحق على ما يخاف، إذ يربط الله ﷻ بين تأمين حياة هذه الذرية، وبين الإصرار على القول السديد، والشجاعة في الحق نوع منه

وعلى أرض الواقع ربما ترى من استقراء التاريخ أن كلمة الحق لم تفقد فقط ذرية قائلها، بل ربما أنقذت من بعده ذرية جيل كامل أو أجيال، وأن إحجام الكل عن إعلانها لم يضيع فقط كرامة كاتمها، وإنما سُحِقَتْ بسبب كتمانها أجيال وذراري كثيرة

الشجاعة في الحق بكل ميدان:

والواجب العملي -الآن- هو في الإصرار على الحق والشجاعة في إعلانه، ولذلك ميادين عديدة ودوائر كثيرة، تبدأ من دائرة الفرد في بيته، وتتسع إلى دائرة الأقارب والجيران، ولا تنسى دائرة العمل الحياتي الذي تُرزَق به، فكثيرًا ما ترى رملاء لنا في هذه الدوائر، ربما دعتهم قدرتهم إلى ظلم الناس، وعرَّتهم قوتهم فطغوا على الضعفاء، وأنستهم صلاحياتهم وسلطاتهم، فضيَّقوا على الناس الضعفاء، فضيعوا حقوقهم، أو أحرجوا حصولهم عليها، فليفتش كل منا عن مظهر من هذه المظاهر في كل دائرة من هذه الدوائر، ثم ليرفع كلمة الحق بشجاعة وأدب وحُسن خطاب، وليكن كل منا مؤمنَ قوم فرعون -الآن- بالحكمة والموعظة الحسنة.

*****

٢- ساعة تتفكرها.

السماء ذات الرجع

تعودنا أن نقرأ كتاب الله ﷻ، القرآن الكريم، نتلوه ونتدبر آياته، وهذا - بلا شك- من أسباب إيقاظ الإيمان في القلوب، وهناك كتاب آخر لله ﷻ، لكنه كتابٌ مُشاهَد مسطور غير مَتْلُو، هذا الكتاب هو الكون والمخلوقات من حولنا، والقراءة في هذا الكتاب تكون بالتفكر والتدبر، وهذه فائدة أخرى من فوائد إيقاظ الإيمان، وهو ما نرجوه من فقرتنا هذه.

الله غني عن القسم.

يقول الله ﷻ ﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[1]، فالآية هنا أتت بصيغة القسم، والله غني عن القسم، لكنه للتنبيه على أهمية الأمر المقسوم به، وقد فسَّرها المفسرون بأن رَجْع السماء هو المطر، والمطر نعمة عظيمة، لكن للسماء رجع ورجع.

السماء كل ما عَلا:

الإنسان يسير على الأرض، وهذه الأرض عليها مساحات يابسة وأخرى ماء، وما فوق ذلك فهو سماء، طبقة من هذه السماء تحيط بالأرض وتعلقها، وهي الغلاف الغازي، هذا الغلاف من وظائفه الرجع، والرجع العودة

رجع للداخل ورجع للخارج:

هذا الغلاف الغازي يمنع أشياء في الفضاء أن تصل إلى الأرض، فهو رجع

---

١ - الآية ١١ من سورة الطارق

للخارج، كما أنَّه يعيد أشياء إلى الأرض فلا تهرب في الفضاء، وهذا رجع للداخل.

يرجع الضرر إلى الفضاء:

الشمس ترسل أشعتها إلى الأرض عبر الفضاء، من هذه الأشعة طيف يضر الحياة إذا وصل للأرض بقدر كبير، لذلك رودَّ الله ﷻ طبقة العلاف الغازي عنا يرد عنا هذه الأشعة التي تُسمَّى الأشعة فوق البنفسجية، وهذه الحماية هي التي توفرها الطبقة المسماة بالأورون، هذا الرجع الإشعاعي هو من رجع السماء

وفي الفضاء طواهر كونية متسارعة، كالثقب والبارك، لو لم تجد ساترًا يصدها عن الأرض لأفنت الحياة التي عليها، وهذا هو دور طبقة الأيونوسفير في إبعادها أو إرجاعها للفضاء، وهذا من رجع السماء.

يرجع المفيد إلى الأرض:

رجع الماء: العلاف المحيط بالأرض يحفظ عليها ماءها وحرارتها وأشياء أخرى، فحرارة الشمس تُسَخِّنُ الماء على سطح الأرض فيرتفع بخارًا، هذا البخار يفقد جزءًا من حرارته كلما لامس طبقة من طبقات الهواء أو طبقات السماء، فإذا وصل إلى العلاف الغازي الكثيف وصل باردًا، فيبرد هذا العلاف حتى أن حرارته لتنخفض إلى ما تحت الصفر رغم أنه أقرب إلى الشمس، وهذا أمر يعرفه كل من سافر بالطائرة حين تشير مقاييس الحرارة إلى هذه البرودة الشديدة خارج الطائرة كلما علت، رغم أن علوها يقترب بها من الشمس، لكنه التبريد الضروري لحدوث الرجع

هنا يكمن سر آخر من أسرار الرجع، التبريد الذي حدث لهذه الطبقة العارية من الغلاف مع كثافته سبب في حدوث الرجع، ذلك أن كل قطرة ماء تصعد بخارًا تقابل هذه المنطقة الباردة، فتتكثف، فتسقط عائدة إلى الأرض غيثًا أو مطرًا، وهذا هو رجع الماء، ولولا هذا الرجع لهرب بخار الماء إلى الفضاء الفسيح، ولجفت كل مصادر الماء على الأرض، ويمكننا إدراك عملية تكثيف بخار الماء هذه إذا نظرنا إلى مرآة الحمام بعد استعمال الماء الساخن فيه، فنجدها مكسوة ببخار الماء، ذلك أن البخار الحار قابل سطحها الأبرد فتكثف عليه فعاد ماء.

رجع الحرارة: بدون الشمس تتجمد الأرض من البرودة، لكن حياة الناس لا تستقيم إذا ما كان النهار دائمًا، فلابد من غياب الشمس ليكون هناك ليل نسكن فيه، وهناك أفلاك غير الأرض فيها نهار وليل، تسبح هذه الأفلاك بفعل الشمس حيثما تواجهها، ويبرد ويتجمد الجزء الذي تغيب عنه الشمس حتى يغشاه الليل، أما أرضنا فلا تتجمد ليلاً، لأن سماءها ذات رجع، فأثناء النهار تسخن اليابسة ويسخن الماء، ومن طبيعة اليابسة أن ترد بسرعة بينما يرد الماء بطيئًا، هذا التبريد معناه أن تفقد اليابسة حرارتها كما يفقدها الماء أيضًا، وتنتقل هذه الحرارة منهما حتى تصل إلى السحاب، وهو من السماء، فيرجعها كأنه مرآة عاكسة إلى الأرض مرة أخرى، فترتد الحرارة إلى الأرض إلا قليلاً، فلا تتجمد الأرض من البرودة، وهذا هو رجع الحرارة

رجع الصدى ورجع الضوء لولا خاصية الرجع في السماء لتاهت موجات الصوت وأشعة الضوء، ولانتعدت وهي تصعد في الفضاء السحيق، وضاعت معناه تناقص قدرتنا على سماع الأصوات وعلى رؤية الأشياء

رجع الموجات يرسل الإنسان موجات كهربائية مغناطيسية، ويعيد استقبالها مرة أخرى بأجهزة الاتصال والتواصل، ولولا خاصية الرجع لأفلتت هذه الموجات ولم يمكن استعادتها، ولوجود خاصية رجع الموجات أمكن بث وإذاعة الصوت والصورة واستعادتهما.

التسليع أيسر الواجبات.

أيسر الواجبات العملية التي يمكن أن تفيدنا وتفيد غيرنا بعد تدبر هذه المعاني هو نقلها للغير، فليحدد كل منا فرداً أو أكثر في كل دائرة اجتماعية محيطة به يوصل له هذه المعاني

*****

٣- أذكار نقرؤها

نذكر الله بالأسماء الحسنى

أسماء الله ﷻ ألفاظ مُشَرَّفة، لها فضل على سائر الكلام، وفيها بركة، وفي ذِكْرها ثوابٌ عظيم، وإن الإنسان إذا واظب على ذكر الله ﷻ طَهُرَتْ نفسُه وصَفَتْ رُوحُه، ولا سيما إذا كان ذكره بحضور قلب، وفهم للمعنى

وأسماء الله ﷻ أعلام عليه، أخبرنا بها ﷻ في كتابه، والرسول ﷺ في سنته، وكل اسم من هذه الأسماء يدل على صفة أو صفات لله سبحانه، وكل اسم منها مُشتَق من مصدره، كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير، ونحوها، فالعليم مشتق من العِلْم، وهو يدل على صفة العلم للباري، وكذلك بقية الأسماء

والاسم الجامع لمعاني الأسماء كلها والصفات كلها، هو (الله) هذا الاسم الكريم عَلَمٌ على الذات المقدسة التي نؤمن بها ونعمل لها، ونعرف أن منها حياتنا وإليها مصيرنا[1]

هذا، ولا تنافي بين ذلك وبين كون هذه الأسماء نعوتًا لله ﷻ وأعلامًا عليه، فالرحمن اسمه ﷻ ووصفه، وكل أسماء الله تدل على معانيها، وجميعها أوصاف مَدْح، وسُمِّيَت الحُسْنَى لدلالتها على أحسن مسمى، وأشرف مدلول

عدد أسماء الله ﷻ:

عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَائَةً إِلا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» [مسلم، الحديث ٤٨٣٦]

---

١ - محمد العوائل، عقيدة المسلم، ص ١٨

وقد اتفق العلماء على أن قول النبي ﷺ "تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا" لا يفيد أنها محصورة في هذا العدد، وإنما غاية ما في هذا الحديث الصحيح أن لله ﷻ هذه الأسماء التسعة والتسعين، ومن أحصاها دخل الجنة، وليس فيه نفي غيرها عن الله ﷻ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء[1]، ويحسن بالمؤمن حفظ هذه الأسماء والتعبد بها، والتلذذ بذكرها، وتعظيم قدرها.

وقد تعرَّف الخالق المتصرف ﷻ إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله، وإليك الحديث الشريف الصحيح الذي جمعها، فنعم المُعَلِّم حديث رسول الله ﷺ، ونعم المرشد الهادي لسان الوحي مشكاة النبوة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الذي لا إِلَهَ إلا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِيَ، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّءوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ،

١- محمد نعيم ياسين، الإيمان، ص ٢، ٢١

الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ" [الترمذي، ٣٤٢٩، وقال غريب]

هذا وقد وردت بعض الآيات والأحاديث بغيرها من الأسماء، مثل ذي الطول، وذي المعارج، وذي الفضل العظيم، والخلاق، والحنّان، والمنّان، والحيي، والستير، وغيرها[1]

معاني بعض أسماء الله ﷻ:

(القدوس) المطهَّر من العيوب

(السلام). الأمان لخلقه، أو هو السالم من العيوب

(المؤمن) المصدِّق وعده لخلقه، والمؤمِّن لهم من عذابه

(المهيمن): المسيطر المتصرف، أو الشهيد الرقيب.

(العزيز): القاهر الغالب. (الجبار) المقهر لأوامره

(المتكبر) العالي عن صفات الخلق المتفرد بصفات عظمته.

(البارئ): الخالق، وهو في خلق ذي الروح أظهر، يقال بارئ النَّسَم وخالق السموات والأرض

(المقيت): العالم العارف (الحسيب): الكافي لخلقه.

(المحصي) الذي أحصى كل شيء بعلمه، فلا يفوته شيء من الأشياء

(البَرُّ). المتعطِّفُ على عباده ببره ولطفه. (المقسط): العادل في حكمه

(الرشيد) الذي يرشد الخلق إلى مصالحهم.

(الصَّبور) الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام منهم.

١- انظر سور غافر، الآية ٣، والمعارج، الآية ٣، والبقرة، الآية ٥ ١، والحجر، الآية ٨٦، وانظر أحاديث الترمذي ٣٤٦٧، وأحمد ١٢١٥٠، ١٢٩٣١، والنسائي ٤٠٣

٤- نعمة نحمدها

البيت مأوى ومحراب

الإنسان يسبح في بحر من النِّعَم التي لا تُعَد ولا تُحصَى، ومقتضى الإيمان بالله ﷻ المنعِم علينا أن نعترف بفضله ونشكر نعمته، وفي مقامنا هذا نستعرض نعمة نحمدها، هذه النعمة هي البيت الذي جعله الله لنا.

البيت سكن:

مهما كان مكان عمل الإنسان مُريحًا مُكيِّفًا؛ فإن المرء لا يشعر بالراحة إلا حينما يعود إلى بيته، ومهما كان مكان استضافة المرء جميلاً فاخرًا؛ فإن الإنسان يشتاق للعودة إلى بيته وسكنه، لقد جعل الله ﷻ لنا في البيت سكنًا لا نجده في غيره، قال ﷻ: ﴿واللهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[1] ولعل هذه النعمة -نعمة السكن- هي أظهر فوائد البيت للإنسان، حتى أن لفظة (السَّكَن) تحل في الاستعمال محل كلمة البيت أو المنزل في كثير من الأحيان.

هل تخيلت نفسك بلا بيت؟ كيف تكون الحياة إذا لم يكن لنا بيت نعود إليه؟.

بيت إقامة وبيت ترحال.

لم يتركنا الله ﷻ نعم بالبيوت حال إقامتنا فقط، فإذا انتقلنا أو ارتحلنا تشردنا وشقينا، لقد يسر الله ﷻ لنا بيوتًا خفيفة تكون لنا مأوى حين نسافر ونرتحل، قال ﷻ: ﴿وجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ

١- من الآية ٨٠ من سورة النحل

وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾[1]، فهل لنا أن نتصور كيف يكون الحال إذا فقدنا المأوى حين ينتقل، أو إذا وجدنا أنفسنا عالة على الغير حين نسافر، لو كان ذلك كذلك، لما أقبل الناس على التنقل، ولتعطلت مصالح كثيرة في الحياة

البيت ملجأ أمان.

يتجه الإنسان البيوت طلبًا للأمان، قال ﷻ: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾[2]، فأمان الإنسان في سِرْبِهِ -أي شأنه وأهله وعياله- أساس هنائه في الدنيا، إذا ما صح بدنه ووجد طعامه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" [الترمذي، الحديث ٢٢٦٨، وقال حسن غريب]

البيت حِصْن الخصوصية ومحفظة الأسرار.

الإنسان مخلوق اجتماعي، يألف ويُؤلَف، لكنه يحب أن تكون له خصوصياته، ونعمة البيت التي نجدها اليوم توفر له الخصوصية، والقرآن يربي الناس على ذلك، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[3]

وسُنَّة المصطفى ﷺ تعطي صاحب البيت حق الحفاظ على خصوصياته، فعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ مِنْ جُحْرٍ فِي دَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ

١- من الآية ٨٠ من سورة النحل

٢- الآية ٨٢ من سورة الحجر.

٣- الآية ٢٨ من سورة النور

يَحُكُّ رَأْسَهُ بِالْمِدْرَى[1]، فَقَالَ «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهَا فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ قِبَلِ الأَبْصَارِ» [البخاري، الحديث ٥٤٦٩]

بيوت المؤمنين قبلة:

هناك نعمة تميز بيوت المؤمنين، وهي كونها قبلة، فهي مقصد القاصدين، وملاذ المحتاجين، ومركز نور الوحي المبين، قال ﷻ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]

بيتك محراب عبادة:

ونحمد الله ﷻ أن جعل البيت لنا محراب عبادة، فهو ليس فقط مأوى كبيوت بقية المخلوقات، لكنه معبد نتعبد فيه لله ﷻ، فكل نشاط فيه هو عبد عبرنا عادة، لكنه عبدنا عبادة، وليس أدل على ذلك من أن الدعاء إلى الله ﷻ يرتفع مع كل حركة فيه، وقد علمنا أن الدعاء هو العبادة[3]

أولاً- دعاء النوم ودعاء الاستيقاظ.

١- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَحَدَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» [البخاري، الحديث ٥٨٥٠]

وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهم عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ «لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ

١- المدري: عود يُصَمَّم به الشعر، يشبه المشط

٢- الآية ٨٧ من سورة يونس

٣- راجع الموضوع الأول من الفصل الرابع من الباب الثاني

رِدْنِي عِلْمًا، وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" [أبو داود، الحديث ٢ ٤٤]

ثانيًا- دعاء لبس الثوب الجديد

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ، عِمَامَةً أَوْ قَمِيصًا أَوْ رِدَاءً، ثُمَّ يَقُولُ "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ" [الترمذي، الحديث ١٦٨٩، وقال حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ]

وعن مُعَاذ بن أَنَسٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" [الدارمي، الحديث ٢٥٧٤]

ثالثًا- دعاء الخروج من المنزل

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ، أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا" [الترمذي، الحديث ٣٣٤٩، وقال حسن صحيح]

وعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ قَالَ -يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ- بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ" [الترمذي، الحديث ٣٣٤٨، وقال حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ]

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ" [أبو داود، الحديث ٤٤٣٢]

رابعًا- دعاء دخول الخلاء والخروج منه:

عن أنس ﷺ قال كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاءَ قَالَ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ" [البخاري، الحديث ٢٩٧]

وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاءِ قَالَ "غُفْرَانَكَ" [الترمذي، الحديث ٧، وقال حسن غريب]

خامسًا- الدعاء قبل الطعام، والدعاء بعده.

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ" [الترمذي، الحديث ١٧٨١]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلا مُوَدَّعٍ وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا" [البخاري، الحديث ٥٣٧]

أفلا نحمد الله ﷻ على تكريمنا بأن هيأ لنا البيت مأوى ومحرابًا، نعمة من عنده، ولم يتركنا نهيم على وجوهنا دون مأوى أو سكن

*****